المحاضرة الثانية في العقيدة:- الأصول الثلاثة

يوم الخميس الموافق 2018- 7- 12

بشرح فضيلة الشيخ الاستاذ الدكتور/ طلعت زهران – حفظه الله

الدورة النسائية – مصر- الاسكندرية- العصافرة- جامع الامام مسلم

اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل، والعمل بهن.

الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا، بل أرسل إلينا رسولا؛ فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار.

قال الله عز وجل: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزمر: 38]، هذا من باب التقدمة والتوطأة للمسألة الثانية. (أَنَّ اَللَّهَ خَلَقَنَا)، يراد به العموم فيدخل فيه الجن وهذا مصداق لقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56]

لم يتركنا هملاً معطلين، بل لا بد من أمرٍ ونهيٍ، ومعلوم أن الله عز وجل غيب وما أراده من الأوامر والنواهي غيب، فلا بد من واسطةٍ بينه وبين الخلق من أجل أن يعلموا ما الذي أراده جل وعلا ليفعلوه، وما الذي أراد جل وعلا أن يجتنبوه. ولذلك قال المصنف: (بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً) بالهدى ودين الحق، من بني جنسنا ليس ملكًا ولا جنيًّا؛ لئلا نستوحش منه. بل هو بشر، قال الله عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ} [النساء: 64]

(فَمَنْ أَطَاعَهُ) يعني أطاع الرسول (دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ). رتب الجزاء على هذه الطاعة وهي الجنة أو النار، فَمَنْ أطاع الرسول لأنها طاعة لله عز وجل، قال الله سبحانه: {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ} [النساء: 80] فكل طاعةٍ للنبي – صلى الله عليه وسلم – فهي طاعة لله تعالى، ولذلك النبي عليه الصلاة والسلام بل الرسل على جهة العموم إنما هم مبلغون لما أوحاه الله عز وجل إليهم. قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} [المائدة: 67]، (فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ) دخولاً أوليًّا أو ثانويًّا بحسب الطاعة، لأن الدخول دخول الجنة عند أهل السنة والجماعة قد يكون أوليًّا بمعنى أنه ابتداءً لا يُعذب لا يدخل النار، وقد يدخل النار ثم يخرج منها كما هو معتقد أهل السنة والجماعة، حينئذٍ يكون دخوله للجنة ليس أوليًّا

ابتداءً وإنما مر بالنار أولاً ثم بعد ذلك دخل الجنة، فمن مات على معاصٍ كبائر ونحوها فهو تحت المشيئة، إن شاء الله تعالى عذبه وإن شاء عفا عنه فتجاوز عنه.

والمعصية هي مخالفة الأمر عمدًا، ولا بد من قيد العمد لأنه إذا فعل المعصية المخالفة لا على جهة العمد، وإنما بطريق الخطأ ونحو ذلك فلا يقال بأنه معصية.

قال الله عز وجل: {وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} [النساء: 14] والآيات في ذلك كثيرة.

.والدليل قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً}. المزمل: 15-16

{إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ} الخطاب هنا لمشركي العرب، وللعموم.

{شَاهِداً عَلَيْكُمْ} أي على أعمالكم يوم القيامة

{كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً}، ومثل هنا بفرعون لشهرة خبره عندهم.

{فَعَصَى فِرْعَوْنُ الْرَّسُولَ} وهو موسى عليه السلام.

{فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً} أي ثقيلاً شديدًا كما قاله ابن عباس، وذلك بإغراقه وجنوده في اليم ثم في البرزخ إلى يوم القيامة كما قال سبحانه: ... {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً} [غافر: 46] {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}

فاحذروا إذ الحكم واحد، لأن التسوية هنا بين الأمرين، كأنه من باب القياس الجليّ الواضح، حينئذٍ يحل بكم من العذاب ما حل بفرعون وقومه؛ إذ العلة واحدة وهي تكذيب الرسل، فاحذروا أنتم أن تعصوا نبيكم كما عصى فرعون الرسول فيحل بكم ما حل بهم.

<u>الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.</u>

(لَا يَرْضَى) هذا نفي للرضا عن الرب جل وعلا وليس نفيًا مطلقًا، بل فيه إثبات صفة الرضا للرب سبحانه، فهي صفة قائمة بذات الله تعالى ولازمها الإنعام والعطاء، متعلقة بمشيئته.

(أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ) والمراد بالشرك هنا أن تجعل لله ندًّا في الإلوهية، أو في الربوبية، أو في الأسماء والصفات.

والمراد به شرك في الإلوهية دون غيره من الأنواع.

(أَحَدٌ) هذا نكرةٌ في سياق النفي، سواء كان ملكًا مقربًا أو نبيًّا مرسلاً، فإذا انتفى رضا الرب جل وعلا على أن يرضي أن يُعبد غيره معه جل وعلا ولو كان نبيًّا أو ملكًا فغيرهما من بابٍ أولى وأحرى.

(فِي عِبَادَتِهِ) العبادة: اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة

(لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ)

ولم يقصد به الاستيعاب، وإنما أراد أعلى ما يمكن أن يَصْرِفَ العبد شيئًا من العبادة لهذين النوعين، فإذا لم يرض الله عز وجل أن تُصْرَفَ العبادة ولو شيئًا يسيرًا منها لهذين النوعين فما دونهما من الأصنام والأحجار والأشجار من بابٍ أولى وأحرى.

فالله تعالى لا يرضى الشرك، بل يسخط ذلك الذنب ولا يريده شرعًا، أما كونًا فأراده الله عز وجل فوقع لحكمةٍ أرادها.

والدليل قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً} الجن آية: 18.

{الْمَسَاجِدَ} جمع مسجد ويقصد به السجود أو أعضاء السجود، وقيل المساجد هي المساجد التي بنيت للصلاة والعبادة والتلاوة والاعتكاف ونحو ذلك.

{لِلَّهِ}) المعبود بحقّ

({فَلَا تَدْعُوا} دعاء مسألةٍ ودعاء عبادة، كما جاء في الحديث «الدعاء هو العبادة» وعليه أكثر المفسرين.

و {أَحَداً} نكرة في سياق النهي يعمّ كائن من كان فيدخل فيه الملك المقرب والنبي المرسل فضلاً عن من سواهما.

فصرف العبادة لغير الله تعالى يعتبر من المحرمات، وبين أن الذي يُصرف له أو إليه شيء من الدعاء أنه عامٌ في كل مخلوق.

<u>الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب.</u>

من اعترف بالخالقية والرازقية لله عز وجل وأن الله تعالى أرسل الرسول من أجل أن يطاع، ثم أن الله تعالى حرم الشرك، ولا يرضى عن أهل الشرك.

فكما أن المسلم يجب عليه مجانبة الشرك؛ لأن الله تعالى لا يحبه ولا يرضاه بل حرمه، كذلك من تلبس بالشرك فحينئذٍ لا يرضى الله عز وجل عنه فيجب المباعدة عنه بكل وسيلةٍ لا بالكلام ولا بالمحبة ولا بنحوها.

(أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ) يعني أتى بشهادة أن محمدًا رسول الله، وأطاعه فيما أمرر واجتنب ما عنه نهى وزجر.

(وَوَحَّدَ اللَّهَ) يعني أفرد الله تعالى بالعبادة، وعمل بمقتضى الشهادتين ولم يأت بناقض. ويوالي أهل التوحيد ويبغض أهل الشرك ويعاديهم. فحينئذٍ لو عكس أو لم يأت بواحد منهما يعتبر إما ناقضًا للإسلام من أصله، وإما تاركًا لواجبٍ من واجبات الإسلام.

(لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ} أصل المحادة في اللغة أن تكون في جانب ومقابلك في جانبٍ آخر، يعني عَادَى وخَالَفَ {اللَّهَ وَرَسُولَهُ} بأن جعل دين الله تعالى في جانب وهو في جانب آخر.

(وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ) كالوالد والولد، لا تجوز مولاته.

والدليل قوله تعالى: {لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} المجادلة آية: 22.

{لَا تَجِدُ} يا رسول الله، وهذا نفيٌ ليس بنهي، وإنما هو نفي والنفي أبلغ عند البيانيين والأصوليون أبلغ من النهي فهو نهيٌ وزيادة،.

ولذلك يفهم من قوله – صلى الله عليه وسلم –: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»، «لا صلاة» فيحرم عليه أن يترك هذه الفاتحة التي نص عليها في الخبر، وكذلك إن أوقع تلك الصلاة حينئذٍ صلاته كأنها غير موجودة.

{قَوْماً} نكرة في سياق النفي فيعمّ. مهما كان صفة هؤلاء القوم. أطاعوا الرسول ووحدوا الله.

{يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} لَا تَجِدُ قَوْماً جمعوا بين الإيمان بالله تعالى والإيمان باليوم الآخر {يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} أي يوالون من حادّ وعادى الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم. وهم الكافرون.

ولو كانوا {آبَاءهُمْ} وهم الأصول وإن علوا

{أَوْ أَبْنَاءهُمْ} وهم الفروع وإن نزلوا

{أَوْ إِخْوَانَهُمْ} وهم أقرب إخوانهم وأعمامهم وأعوانهم

{أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} وهم الأقارب الذين يتكثر بهم.

حينئذٍ انتفت القرابة بجميع أصنافها.

{أُوْلَئِكَ} الذين لا يوادّون من حادّ الله ورسوله، أي الذين عصموا أنفسهم وعصمهم الله عز وجل من الوقوع في الموالاة.

{كَتَبَ} الله عز وجل {فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ} أي أثبت في قلوبهم الإيمان، وجعله راسخًا ثابتًا،

{وَأَيَّدَهُم} أي قواهم ببرهانٍ منه ونورٍ وهدى.

{وَيُدْخِلُهُمْ} أي يسكنهم {جَنَّاتٍ} متعددة لا واحدة {تَجْرِي مِن تَحْتِهَا} من تحت أشجارها ومساكنها المياه والأنهار، {خَالِدِينَ فِيهَا}، وهذا تثبيت للنعمة

{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} بطاعتهم إياه في الدنيا {وَرَضُوا عَنْهُ} في الآخرة بإدخاله إياهم الجنة

{أُوْلَئِكَ} أي الموصوفون بما ذكر {حِزْبُ اللَّهِ} أي جند الله وأولياؤه، فهم قد تحزبوا واجتمعوا على الحق، وكل من تحزب أو أجتمع على أمرٍ ما حينئذٍ يكون حزبًا،

{أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ} إضافة تشريف تفييد الاختصاص والتكريم والإجلال لفعلهم،

{هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، والفلاح هو الفوز، وهي أجمع كلمةٍ للخير في لسان العرب وهي حصول المطلوب والأمن من المرهوب.

إذًا هذه المسألة الثالثة متعلقة بالمولاة. وهي على نوعين:

موالاةٌ كبرى.

ومولاة صغرى.

الموالاة الكبرى هي التي تسمى التَّوَلِّي والمظاهرة وتسمى المولاة الْمُطْلَقَة.

والمولاةٌ الصغرى هي دون ذلك.

الموالاة المطلقة والتَّوَلِّي والمظاهرة هذه مكفرة بمعنى أنها مخرجة لصاحبها من الإسلام، وهي التي عناها الله عز وجل بقوله: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة: 51] حينئذٍ

يكون كافرًا مرتدًا عن الإسلام، وهذه فسرها بعضهم بمحبة الشرك وأهل الشرك، إذا أحبهم من كل وجه فحينئذٍ يكون متولِّيًا لهم فهو كافرٌ مرتد عن الإسلام.

والنوع الثاني: المولاة الصغرى وهي كل ما يؤدي إلى مصانعتهم وتوقيرهم واحترامهم والتشبه بهم ونحو ذلك واستشارتهم، أو إطلاق العبارات التي تدل على الصداقة ونحو ذلك، كلها كذلك تعتبر من المولاة المحرمة التي لا تصل بصاحبها إلى الكفر والله أعلم.

اعلم أرشدك الله لطاعته، أن الحنيفية ملة إبراهيم: أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس، وخلقهم لها، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}. الذاريات آية: 56

انتهت المحاضرة الثانية فى العقيدة: الأصول الثلاثة